رحلة اليقين ٢١: خلاصة حلقات الأدلة الفطرية على وجود الله ومناقشة الإعتراضات

إياد قنيبي

السّلامُ عليكُم - 00:00:12
إخوتي الكرامَ، في هذهِ الحلقةِ نلخّصُ أهمّ محاور الحلقاتِ التّسعةِ - 00:00:13
عن الأدلّةِ الفطريّةِ على وجودِ اللهِ -تعالى- - 00:00:17
ضمنَ سلسلةِ رحلةِ اليقين، ونجيبُ عنْ بعضِ الاعتراضاتِ الّتي وردَتْ على هذهِ الحلقاتِ. - 00:00:20
بيّنّا أنّ هناكَ فِطْرةً موجودةً في الإنسانِ وشرحْنا بعضَ مُكوّناتِ هذهِ الفطرةِ - 00:00:25
كنزعةِ التّديُّن، والبدَهِيّاتِ العقليّةِ، - 00:00:31
والنّزعةِ الأخلاقيّةِ، والشُعورِ بوجودِ غايةٍ للحياةِ، والشُعورِ بالإرادةِ الحرّةِ - 00:00:33
وبيّنّا دلالةَ كلّ منْ هذهِ المُكوّناتِ على وجودِ اللهِ -تعالى-، - 00:00:37
وكيفَ أنّ الموقفَ الإسلاميّ منْ كلّ مُكوّنٍ فطريّ هو موقفٌ منسجمٌ وعقلي. - 00:00:41
وبيّنّا أنّ الإلحادَ -في المقابل- يقعُ في مأزقٍ معَ كلّ مُكوّنٍ فِطريّ، - 00:00:48
وأنّ أساسَ هذا المأزقِ هو إصرارُ الإلحادِ على تفسيرِ الوجودِ تفسيراً ماديّاً - 00:00:53
يرفضُ فكرةَ وجودِ إلهٍ فَطَرَ الإنسانَ على هذهِ المكوّناتِ الفطريّةِ. - 00:00:59
فرأينا كيفَ يتّسِمُ الموقفُ الإلحاديُّ بما يلي: - 00:01:03
إنكارِ الأشياءِ المسلّمةِ والمعلومةِ منَ الواقعِ بالضّرورةِ، - 00:01:07
التّناقُضِ وعدمِ الانسجامِ، - 00:01:11
الخروجِ بنتائجَ تَنفِرُ منها النُّفوسُ بَداهةً، - 00:01:14
تحقيرِ قيمةِ الإنسانِ وكرامتِهِ، وإسقاطِ مِصداقيّةِ عقلِهِ ومشاعرِهِ. - 00:01:18
وبيّنّا أنّ الإلحادَ إذا حاولَ أنْ يَفِرّ منْ مُشكلةٍ منْ هذهِ المشكلات، - 00:01:24
فإنّهُ يقعُ -ولا بُدّ- في مشكلةٍ أُخرى - 00:01:28
فإذا حاولَ -مثلاً- أنْ يعترفَ بالبدَهيّاتِ العقليّةِ، فإنّهُ يقعُ في التّناقضِ معَ رؤيتِهِ الماديّةِ - 00:01:32
وإذا حاولَ الانسجامَ معَ رؤيتِهِ الماديّةِ، فإنّهُ يقعُ في إنكارِ البدَهيّاتِ العقليّةِ - 00:01:38
وإذا حاولَ الإلحادُ أنْ يفِرّ منَ اللّاأخلاقيّةِ الّتي يؤدّي إليها، - 00:01:44
فإنّهُ يقعُ في التّناقضِ معَ رؤيتِهِ الماديّةِ - 00:01:49
وإذا أرادَ أنْ ينسجمَ معَ الرُّؤيةِ الماديّةِ، - 00:01:52
فإنّهُ يؤدّي حتماً إلى نتائجَ لاأخلاقيّةٍ تَنفرُ منها النُّفوسَ بداهةً - 00:01:55
لِذا، فإنّهُ لا ينفعُ الملحدَ أنْ يقولَ: - 00:02:01
"أنا أرفضُ المقولاتِ اللّاأخلاقيّةَ الّتي يتكلّمُ بها بعضُ الملحدينَ - 00:02:04

وأرفضُ إنكارَهُم لمبادِئَ عقليّةٍ كالسّببيّةِ"؛ - 00:02:07
لأنّ رفْضَهُ هذا يُوقِعُهُ في التّناقُضِ معَ إلحادِهِ. - 00:02:11
ومعَ ذلكَ، قدْ كُنّا في كثيرٍ منَ المواضعِ نستخدمُ عبارةَ: - 00:02:15
"لا يجدُ)الإلحادُ(مشكلةً في كذا" - 00:02:19
أوْ "منْ أخلاقِ)الإلحادِ(كذا" و"يقولُ)الإلحادُ(كذا"؛ - 00:02:22
حتّى لا يُعتَرَضَ علينا بأنّهُ ليسَ كلُّ الملحدينَ يقولونَ بهذا، - 00:02:27
فالمواقفُ الّتي ذكرناها هيَ النّتائِجُ المُتوقّعَةُ للإلحادِ وإنْ لم يقلْ بها بعضُ الملحدينَ. - 00:02:32
وبيّنّا في السّلسلةِ أيضًا كيفَ أنّ إنكارَ الإلحادِ للفطرةِ يوقِعُهُ في هدمِ الشّعاراتِ الّتي يرفعُها، - 00:02:39
فشِعاراتُ الملحدينَ: "أنا أحترمُ عقلي، أنا إنسانيٌّ -أُومِنُ بالإنسانِ-، - 00:02:46
أنا أصدِّقُ العلمَ" - 00:02:50
وقدْ بيّنّا في الحلقةِ الخامسةِ إهانةَ الإلحادِ للعقلِ وإسقاطَه لهُ، - 00:02:52
وبيّنّا في الحلقةِ السّادسةِ والسّابعةِ والثّامنةِ إهانةَ الإلحادِ للإنسانِ وأخلاقِهِ، - 00:02:57
وبيّنّا في الحلقاتِ الخامسةِ والعاشرةِ والحاديةَ عشرةَ إهانةَ الإلحادِ للعِلْمِ التّجريبيِّ؛ - 00:03:03
فهوَ هدمٌ للشّعاراتِ. - 00:03:10
وبيّنّا كذلكَ كيفَ أنّ الملحدينَ يقعونَ في نفسِ ما يَعيبونَ المؤمنينَ بوجودِ اللهِ له، - 00:03:12
فَهُمْ يَعيبُونَ المؤمنينَ لإيمانهم بالغيبِ، معَ أنّ المؤمنينَ لديهمْ أدلّةٌ على هذا الغيبِ، - 00:03:18
في حين يقع الملحدونَ في الإيمانِ بغيبٍ لا دليلَ عليهِ - 00:03:25
كإيمانِهم بتفسيراتٍ ماديّةٍ للمكوّناتِ الفطريّةِ معَ انعدامِ الأدلّةِ عليها، - 00:03:29
ويَعيبونَ على المؤمنينَ قولَ: "لا نعلمُ لماذا" جوابًا عنْ بعضِ الأسئلةِ، - 00:03:35
معَ أنّهُ تسليمٌ مَبْنيٌّ على إيمانٍ عقليٍّ، - 00:03:40
في حين يقولُ الملحدون العبارةَ ذاتهَا: "لا نعلمُ لماذا" جواباً عنْ بعضِ الأسئلةِ، - 00:03:43
مثلَ السُّؤالِ عنْ تفسيرِ وجودِ إرادةٍ حُرّةٍ للإنسانِ بخلافِ ما تُحتِّمُهُ النّظرةُ الإلحاديّةُ الماديّةُ، - 00:03:49
ويدّعي الملحدونَ أنّ المؤمنينَ بوجودِ اللهِ يخادِعونَ أنفُسَهم، - 00:03:56
في حين أن الملحدينَ هُمْ -في الحقيقةِ- مَنْ يخادِعونَ أنفُسَهم، كما بيّنّا في حلقةِ: - 00:04:00
)لماذا نحنُ هنا في هذهِ الحياةِ؟(- 00:04:05
في المُحَصّلةِ، إنّ بعضَ المسلمينَ لديهِم تساؤلاتٌ، وشكوكٌ، وشُبُهاتٌ لم يحصّلْ إجاباتٍ شافيةً عليها؛ - 00:04:08
وذلكَ إمّا لتقصيرهِ في البحثِ عنْ إجاباتٍ منَ المصادرِ المُناسبةِ، - 00:04:15
أو لأنّهُ لم يَبْنِ إيمانَه على أُسُسٍ متينةٍ أصلًا، - 00:04:20
أوْ لِخَلَلٍ منهجيٍّ كبيرٍ لديهِ، وهو: أنّه لا يردُّ المُتشابهاتِ إلى تلكَ الأُسُسِ المُحْكماتِ، - 00:04:24
أي: لا يُفسِّرُ الجزئيّاتِ الّتي تخفى عليهِ - 00:04:31
في ضَوءِ الأُسسِ العَقَديّةِ الكبرى الّتي يمتلِكُ الدّليلَ عليها؛ - 00:04:35
فيبقى في قلقٍ واضْطرابٍ. - 00:04:40
مثلُ هذا الشّخصِ قدْ تتَراكمُ عليهِ الشُّبهاتُ حتّى ينكِرَ وجودَ اللهِ، - 00:04:42
ويَظُنُّ أنّهُ حينَ يُلحدُ فإنّهُ يخرُجُ منْ هذهِ الإشكالاتِ. - 00:04:47
ولا يدري أنّ إنكارَهُ لوجودِ اللهِ إنّما هوَ مُبتَدَأُ طريقٍ مُتَسلسِلٍ منَ الإنكارِ المتواصِلِ - 00:04:51

الّذي يُؤدّي إلى العدَميّةِ والتّناقُض. - 00:04:59
ففي ظِلِّ التّصوُّرِ الإلحاديِّ الّذي يقولُ أنّ وجودَ اللهِ وهمٌ - 00:05:02
يقودُ ذلكَ حتمًا إلى انعدامِ كلِّ معنًى وكلِّ قيمةٍ؛ - 00:05:06
إذ سينتهي إلى نتيجةِ أنّ المبادِئَ العقليّةَ وهْمٌ، - 00:05:10
والقِيَمَ الأخلاقيّةَ وهْمٌ، ومعنى الوجودِ وغايتَهُ وهْمٌ، - 00:05:15
والإرادةَ البشريّةَ الحرّةَ وهْمٌ، - 00:05:19
بل الإنسانُ بمكوّناتِهِ الرّوحيّةِ اللّامادّيّةِ والمُشَكِّلةِ لحقيقةِ إنسانيّتِهِ وهْمٌ مجرّد. - 00:05:22
وكما عبّر الملحدُ وِلْيم بروفاين "enivorP mailliW" - 00:05:29
بروفيسورُ تاريخِ علمِ الأحياءِ من جامعةِ كورنيل "llenroC": - 00:05:31
يبدأُ الأمرُ بالتّخلّي عنْ أنّ هناك إلهًا فاعلًا، ثمّ التّخلي عن الأملِ بوجودِ أيّ حياةٍ بعدَ الموتِ، - 00:05:35
وحينَ تتخلّى عنْ هاتين الفكرتين، فإنّ بقيّةَ الأمورِ تأتي بطريقةٍ سهلةٍ نسبِيًّا؛ - 00:05:43
إذ تفقدُ الأملَ أنّ هناكَ مبادئَ أخلاقيّةً مُطْلَقَةً، - 00:05:49
وأخيرًا لا وجودَ لإرادةٍ إنسانيّةٍ حُرّةٍ، - 00:05:53
ليسَ هناكَ أدنى أملٍ في وجودِ أيّ معنًى عميقٍ في الحياةِ الإنسانيّةِ؛ - 00:05:57
نعيشُ ونموتُ ونَفْنَى! نَفْنَى بشكلٍ نهائيٍّ حينَ نموتُ. - 00:06:02
فاعلمْ أيُّها الشّابُّ الّذي تخلّيْتَ عنْ دينِكَ وأعلنْتَ ذلكَ لأصحابِكَ محتفلًا - 00:06:08
بأنّكَ قدْ تخلّصْتَ منْ مجموعةِ التّساؤلاتِ والشُّكوكِ الّتي كانتْ تؤرّقُكَ يومَ كُنْتَ مُسلمًا، - 00:06:13
اِعلمْ أنّكَ دخلْتَ محيطًا عميقًا متلاطمَ الأمواجِ منَ الشُّكوكِ والتّساؤلاتِ والتّناقضاتِ، - 00:06:20
وتركْتَ العُروةَ الوُثْقى لتَهويَ في وادٍ سحيقٍ، - 00:06:26
ولنْ تجدَ مَفَرًّا منْ هذهِ الحقيقةِ إلّا أنْ تتَعامى عنها. - 00:06:30
تعالَوُا الآنَ -إخواني- نجبْ عنْ بعضِ الاعتراضاتِ الّتي وردَتْ على الحلقاتِ! - 00:06:46
أوّلًا: كنتُ في الحلقاتِ أذكرُ بعضَ الآياتِ، - 00:06:50
فاعترضَ بعض بأنّ الآياتِ لا يخاطَبُ بها الملحدُ. - 00:06:53
بدايةً هذهِ السّلسلةُ ليستْ لمخاطبةِ الملحدِ والمتشكّكِ فحسبْ، - 00:06:57
بلْ والمؤمنِ ليزدادَ يقينًا كما بيّنتُ، - 00:07:02
ومعَ ذلكَ فحتى في مخاطبةِ الملحدِ لا نعابُ للاستشهادُ بهذهِ الآياتِ؛ - 00:07:05
لوْ كنتُ أذكُرُها على سبيلِ أنّهُ: "يا ملحدُ، اللهُ يقولُ كذا؛ فعليكَ أنْ تسلّمَ لأنّ اللهَ قالَ" - 00:07:11
لصحّ حينئذٍ أنْ يُقَالَ أنّ هذا غيرُ عقليٍّ؛ لأنّ الملحدَ لا يُسلّمُ بوجودِ إلهٍ أصلًا، - 00:07:17
لكنّ استشهادَنا بها هوَ لبيانِ انسجامِ المنظومةِ الإسلاميّةِ، - 00:07:23
وتناسُقِ ما يَنسِبُهُ الإسلامُ إلى الإلهِ الّذي يؤمنُ بهِ، - 00:07:28
تناسقِ ذلكَ معَ الواقعِ في مقابلِ تناقضِ الإلحادِ، - 00:07:32
فالانسجامُ منْ أدلّةِ الحقّ، والتّناقضُ منْ أدلّةِ البُطلانِ - 00:07:36
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾]القرآن 4: 28[- 00:07:40
والأهمُّ من هذا -إخواني- أنّهُ لا يصحُّ قولُ أنّ الملحدَ لا يخاطَبُ بالقرآنِ هكذا بإطلاقٍ، - 00:07:45
بلْ كثيرٌ منَ الآياتِ تتضمّنُ أدلّةً عقليّةً يخاطَبُ بها الملحدُ، كقولِهِ تعالى: - 00:07:51

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾]القرآن 25: 53[- 00:07:57
فنحنُ نُحَاجُّ الملحدَ بالدّليلِ العقليّ الّذي تضمّنَتْهُ الآيةُ، - 00:08:01
لا نُلزمُه بخبرٍ لمجرّدِ أنّ القرآنَ جاءَ بهِ. - 00:08:05
فنحنُ لمْ نقُلْ مثلًا: - 00:08:09
"يا ملحدُ، القرآنُ يقولُ أنّ اللهَ موجودٌ، فعليكَ أنْ تصدّقَ أنّ اللهَ موجودٌ"، لم نقلْ هذا. - 00:08:11
ثانيًا: اعترَضَ بعضٌ بقولِهِ: - 00:08:16
"أنتَ استنتجْتَ منْ مناقشاتِكَ وجودَ اللهِ، و)اللهُ(اسمٌ للإلهِ في المنظورِ الإسلاميّ، - 00:08:18
في حين أن غايةَ ما تُثْبِتُهُ الحلقاتُ هوَ: وجودُ إلهٍ فحسبُ" - 00:08:25
اِدِّعاؤُكَ أنّكَ أثبَتّ وجودَ الإلهِ الإسلاميّ - 00:08:29
-حسْبَ تعبيرِ المعترضِ- - 00:08:32
هو قفزٌ إلى استنتاجٍ تحكُّميّ زائدٍ عنِ المقدارِ المثبَتِ. - 00:08:33
والجوابُ -إخواني- أنّ الحلقاتِ تدلُّ على الأمرَيْنِ معًا: - 00:08:38
وجودِ خالقٍ مدبِّرٍ للكونِ، - 00:08:41
وبعضِ صفاتِ هذا الخالقِ الّتي يدُلُّ عليها خلقُهُ. - 00:08:43
والإسلامُ هوَ وحدَهُ الّذي يُعطي تصوُّرًا صحيحًا عنْ صفاتِ هذا الخالقِ المدبّرِ، - 00:08:48
ففي الكتبِ المحرّفةِ -كالكتابِ المسمّى بالكتابِ المقدّسِ مثلًا- وصفٌ لهذا الخالقِ بما لا يليقُ - 00:08:54
كوصفِهِ أنّه صارعَ يعقوبَ حتّى كادَ يعقوبُ أنْ يصرعَهُ، - 00:09:00
وأنّهُ استراحَ بعدَ خلقِ السّماواتِ والأرضِ، وغيرِها... - 00:09:05
وهيَ أوصافٌ لا تُناسِبُ صفاتِ القدرةِ والحكمةِ الإلهيّةِ - 00:09:09
الّتي تكلّمْنا عنْها في السّلسلةِ. - 00:09:14
كما أنّني أذكُرُ في الحلقةِ السّادسةِ مثلًا - 00:09:16
أنّ وجودَ إلهٍ بصفاتِ كمالٍ مطلَقٍ يؤسّسُ لوجودِ القيَمِ المعنويّةِ كالخيرِ والحقّ، - 00:09:19
ويضعُ أساسًا مطلقًا للأخلاقِ. - 00:09:26
فالدّلائلُ تنتهي حقًّا إلى أنّه عندَ إثباتِ وجودِ ربٍّ، - 00:09:28
فلا بدّ أنْ يكونَ الرّبّ بالوصفِ الإسلاميّ - 00:09:33
الّذي يصِفُهُ بما يليقُ بمظاهرِ قدرتِهِ وعلمِهِ وحكمتِهِ ورحمتِهِ، والّتي تستَوجبُ إلهيّتَهُ، - 00:09:36
وأنْ يكونَ مُستحِقًّا للعبادةِ بصفاتِه هذهِ. - 00:09:45
لذا، فليسَ في ذكرِ اسمِ اللهِ قفزٌ ولا تجاوزٌ للحَدِّ الّذي أُثْبِت. - 00:09:48
ثالثًا: اعترضَ بعضٌ بقولِه: "أنتَ تُقيمُ دَعْوَى صحّةِ الإسلامِ على بيانِ بطلانِ الإلحادِ، - 00:09:55
معَ أنّ بطلانَ الإلحادِ لا يستلزمُ بالضّرورةِ صحّةَ الإسلامِ" - 00:10:02
والحقيقةُ أنّني لم أدّعِ ذلكَ في هذهِ الحلقاتِ؛ لمْ أُقِمْ صحّةَ الإسلامِ على إبطالِ الإلحادِ، - 00:10:06
فالحلقاتُ الإحدى عشرَةَ الماضيةُ إنّما هيَ بدايةُ السّلسلةِ الّتي ستطولُ -إنْ شاءَ اللهُ-، - 00:10:13
والمقدارُ الّذي نُوقِشَ هوَ الأدلّةُ الفطريّةُ فقط على وجودِ اللهِ - 00:10:19
معَ بعضِ الفوائدِ هنا وهناكَ. - 00:10:24
والأدلّةُ الفطريّةُ هيَ جُزْءٌ فقطْ منَ الأدلّةِ على وجودِ اللهِ، - 00:10:26

أمّا مُناقشةُ باقي عناصرِ صحّةِ الإسلامِ، كنُبُوّةِ محمّدٍ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- - 00:10:31
وأنّ القرآنَ كلامُ اللهِ، والتّشريعاتِ الإسلاميّةِ، فهذا كلُّهُ لمْ نناقشْهُ بعد. - 00:10:36
رابعًا: اعترضَ بعضٌ على ذكرِ بعضِ المُصطلحاتِ والاقتباساتِ باللُّغةِ الإنجليزيّةِ، - 00:10:42
والحقيقةُ -إخواني- أنّه كانَ لنا أسبابٌ في ذلكَ، منها: إعطاءُ موثوقيّةٍ لدِقّةِ بعضِ النُّقولاتِ؛ - 00:10:47
فهناكَ نُقولاتٌ عنِ الملحدينَ والدّاروينيّينَ غريبةٌ صادمةٌ لا تكادُ تصدّقُ، - 00:10:54
مِمّا قدْ يجعلُ بعضًا يعتقدُ أنّ النّصّ الأصليّ لا يمكنُ أنْ يكونَ كما ذكرْنا، - 00:11:00
وإنّما هوَ تصرُّفٌ أو عدمُ دِقّةٍ في التّرجمةِ، - 00:11:05
فأوردْنا النّصّ كما هوَ منْ مرجعِه زيادةً في التّوثيقِ، - 00:11:08
وأحيانًا، نذكرُ عنوانَ المرجعِ باللُّغةِ الإنجليزيّةِ؛ - 00:11:12
لنُسَهِّلَ على المُتابعِ الرُّجوعَ إليهِ للتّحقُّقِ والتّوسُّعِ إنْ رغبَ، - 00:11:16
وخاصّةً أنّ كثيرًا منَ المراجعِ المذكورةِ غيرُ مترجمةٍ، - 00:11:20
وأحيانًا نذكرُ مصطلحاتٍ ليسَ لها تعريبٌ مألوفٌ في المجتمعِ العِلْميّ، - 00:11:24
فنذكُرُها على أصلِها ليفهمَ المُتابعُ عمّ نتكلّمُ. - 00:11:28
خامسًا: إخواني، ما يُسمّى بنظريةِ داروين، تعرّضتُ لِجُزئيّةٍ محدّدةٍ متعلّقةٍ بها، ألا وهيَ: - 00:11:34
التّبِعاتُ الأخلاقيّةُ للتّطوُّرِ الدّاروينيّ، وتفسيرُها للمكوّناتِ الفِطريّةِ وبعضِ السُّلوكيّاتِ، - 00:11:40
فظنّ بعضٌ أنّني أناقشُ النّظريّةَ نفسَها بذلك، وراحَ يدافعُ عنها، ويحاولُ إثباتَ صِحّتِها، - 00:11:46
ويتوقّعُ منّي أنْ أردّ على كلامِهِ. - 00:11:53
فأُحِبُّ أنْ أشيرَ هنا إلى أنّ منهجيّتي في هذهِ السّلسلةِ هيَ: التّحديدُ، والدِّقّةُ، - 00:11:56
وفرزُ الأمورِ بعضِها عنْ بعضٍ. - 00:12:02
فأنا حتّى الآنَ لمْ أُناقشِ التّطوُّرَ الدّاروينيّ نفسَهُ، - 00:12:05
بلْ مناقشَتُهُ العلميّةُ بالتّفصيلِ - 00:12:08
ستأتي -إنْ شاءَ اللهُ- بعدَ مناقشةِ الأدلّةِ العقليّةِ على وجودِ اللهِ -تعالى-. - 00:12:11
كان هذا ختامَ الأدلّةِ الفطريّةِ على وجودِ اللهِ. - 00:12:17
ننتقلُ بعدَها إلى الأدلّةِ العقليّةِ، - 00:12:19
وفيها الكثيرُ منَ الإجاباتِ والمُناقشاتِ المُقنِعَةِ المفيدةِ بإذنِ اللهِ -تعالى-. - 00:12:22
فتابعونا، والسّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ - 00:12:26